ترسيخ قيم السلم لدى المتعلم
بين رسالة المدرسة وخطاب التلفزيون.

د. جيلاني كوبيبي معاشو، دريس علي.
جامعة معسكر.

الملخص:

تحاول هذه المقاربة السوسيولوجية فهم التناقض المطروح على مستوى ترسيخ قيمة السلم بين رسالة المدرسة التي تراهن على عامل المعارف المؤسساتية المؤطرة بعديد التشريعات والمراسيم الوطنية والدولية دون الغوص في الأبعاد الإيديولوجية للفعل التعليمي، وبين محتوى الخطاب التلفزيوني الذي يراهن في ذلك على مختلف الحصص والبرامج خاصة تلك المتعلقة بالتسلية والترفيه، هذا الخطاب الذي يروج لثقافة العنف بدل السلم من خلال الآليات التي يوظفها، بما يؤثر في النهاية على سلوكات المتعلمين، وهنا قد ينجح التلفزيون في التفوق على بيداغوجيا المدرسة وكسر ما تقدمه.

الكلمات المفتاحية: السلم، التلفزيون، المدرسة، التأثير، العنف.

Résumé:

cette approche sociologique, Essaye de Comprendre la contradiction qui se pose par rapport à la valeur de la paix Entre le message de l'école qui parie sur les connaissances scolaires et qui est Encadré par de nombreux décrets et législations nationale et internationale, Sans plonger dans les dimensions idéologiques de l'acte éducatif et entre le contenu de la télévision, Qui parie sur les différents programmes En particulier, ceux qui sont liés au divertissements et loisirs, Et qui favorise une culture de la violence au lieu de la paix à travers les mécanismes utilisés par elle-même, et qui affecte en fin les comportements des apprenants, et ici la télévision peut réussir par excellence a briser la pédagogie de l'école.

Mots clés: Paix, Télévision, Ecole, Influence, Violence.

تمهيد:

يرتبط الواقع الإجتماعي للمجتمع الجزائري اليوم بعملية التنشئة الإجتماعية للفاعلين وبجملة من المؤسسات التربوية والتنشئوية التي تتولى عملية غرس القيم لديهم، خاصة في المراحل العمرية الدنيا مستخدمة في ذلك مجموعة من الوسائل المختلفة. إذ يقدم لنا الواقع الفعلي نماذج متعددة تعبر عن اختلالات جلية في أدوار المؤسسات الإجتماعية والمتعلقة بالبعد التربوي إلى درجة التناقض بين النماذج المقدمة، وبشكل خاص بين رسالة المدرسة باعتبارها مؤسسة رسمية للتربية والتعليم من جهة، وبين خطاب الإعلام المتلفز من جهة أخرى، باعتباره خطابا تنشئويا لا يقل أهمية عن دور المدرسة، خاصة في ترسيخ القيم والتأثير في سلوكات الفاعلين، والذي يخضع لجملة من المحددات في ذلك، تختلف باختلاف الرهان الذي تسعى كل مؤسسة إلى تحقيقه. من هذا المنطلق تراهن المدرسة على ترسيخ قيمة السلم لدى المتعلمين من خلال عامل المعرفة المدرسية، المتمثلة خاصة في المضامين التعليمية، وتحديدا تلك التي تعنى بالجوانب الإجتماعية والوطنية مؤطرة بمختلف الأحداث والمواثيق المتصلة بالبعد العالمي الداعي للسلم، والقائمة على الأعمال والنشاطات الصفية المتعددة، دون الغوص في الدلالات الإيديولوجية للعمل المدرسي. في حين يقدم الخطاب الإعلامي المتلفز جانبا مغايرا في أغلب الأحوال، عَمَّا تقدمه المدرسة حول تثمين قيمة السلم من خلال مختلف البرامج والحصص، وتحديدا تلك المتعلقة بالتسلية والإثارة، والتي تروج لثقافة العنف بمختلف أشكاله وتدعوا إليه، دون أن نغفل تناقض المحتوى التلفزيوني مع نفسه من خلال الأبعاد المتعارضة التي يقدمها ضمن برامجه المتنوعة.

نقف انطلاقا من هذا التناقض عبر رسالة المدرسة وكذا الخطاب التلفزيوني على أسلوبين موجهين لنقل المحتوى الخاص بكل منهما، وتحديدا فيما يتعلق بترسيخ قيمة السلم دائما. إذ تعتمد المدرسة على

بيداغوجية تختلف في طبيعتها عن الآليات الموظفة في المحتوى التلفزيوني بشكل يجعل من هذا الأخير يحظى بقبول لدى المتعلمين، بحيث يصبح تأثيره في سلوكاتهم أشد وقعا من المدرسة نفسها، أين ينجح خطاب الإعلام المتلفز ومن خلال الآليات التي يوظفها والجوانب التي يبثها في كسر القيم التي تدعوا إليها المدرسة، وتعمل على ترسيخها لدى المتعلمين، جراء ما تلقاه من إقبال المشاهد (المتعلم) عليه، خاصة وأنه يخاطب وجدان المتلقي وعواطفه على خلاف المدرسة التي تخاطب العقل أكثر، والتي أصبحت بيئة طاردة لاهتمامات المتعلمين.

كيف يمكننا إذن تفسر التناقض الموجود بين رسالة المدرسة والخطاب التلفزيوني في ترسيخ قيمة السلم لدى المتعلمين من خلال محتوى كل منهما؟ وما هي الوسائل الموظفة من طرف كل مؤسسة (المدرسة، التلفزيون) خاصة وأنها تجعل المحتوى التلفزيوني ينجح في كسر الجوانب التي تقدمها المدرسة؟.

1. قيمة السلم في دلالات الخطاب المدرسي:

1.1 على مستوى المقررات الدراسية:

يحيلنا الحديث عن مدى احتواء المقررات الدراسية لقيمة السلم، وتحديدا مقررات التربية المدنية للطور المتوسط، بالمدرسة الجزائرية إذا ما أخذناها كعينة بحثية، إلى الرجوع للمضمون المعرفي المتصل بهذه المقررات، والمقدم في شكل وحدات تعليمية عديدة يتعرض لها المتعلم. لكن قبل الاسترسال في تحليل جوانب ذلك، نتوقف عند جملة من البنود التي يعرضها القانون التوجيهي المؤطر للمقررات التعليمية والذي يحدد أهدافها العامة، إذ يركز وبشكل جلي من خلال مراسيمه على جملة من القيم الأساسية، منها قيمة السلم في تكوين المتعلمين بشكل يرتبط بالمواطنة، وتنمية الحس المدني لديه، قصد إرساء مجتمع متماسك بالسلم والديمقراطية. من هذا المنطلق تهدف السياسة التعليمية، إلى مساعدة المتعلم على اكتساب القيم التي

يتقاسمها المجتمع الجزائري، والتي تجذر شعوره بالانتماء والتعلق بالوحدة الوطنية، ورموز الأمة من خلال سلوكات التضامن واحترام الغير، والتسامح **"وبضمان ترقية قيم ومواقف إيجابية، لها صلة على الخصوص بمبادئ حقوق الإنسان والمساواة والعدالة الإجتماعة..." (الجريدة الرسمية، القانون التوجيهي المتعلق بالتربية: 2008. 08)** مرورا بالجوانب المنادية بالحوار والانفتاح وتقبل الاختلاف والتعايش السلمي... ودون الحاجة للتعصب. كل هذا يحيلنا إلى التركيز المتصل بتوظيف الجوانب الوطنية والعالمية، لإبراز أهمية السلم كقيمة أساسية، من شأنها تكوين المواطن الجزائري على المبادئ السالفة، والتي تحقق الأهداف التربوية.

من هنا فإن المحتوى المجسد للمقررات التعليمية لمادة التربية المدنية، يستند في تحقيق أهدافه على الفلسفة التي بني عليها القانون التوجيهي، والمشار إليه آنفا بالرهان على مواضيع متنوعة ذات صلة بالبعد الوطني والعالمي بهدف ترسيخ قيمة السلم، إما بشكل صريح ومباشر من خلال تخصيص دروس تتصل بهذا الجانب أو بشكل ضمني. هذا ما يتجسد في محتوى كتب التربية المدنية للطور المتوسط، بمستوياتها التعليمية الأربع والتي قمنا بتحليل مضمونها. ما يمكن الإشارة إليه من هذا المنطلق هو أن توزيع قيمة السلم ضمن المجالات التعليمية العديدة، يمكن الوقوف عليها إما بشكل واضح وصريح، من خلال المواضيع الفرعية المجسدة لهذه المجالات، والمتعلقة بالحوار والتسامح ونبذ العنف، أو بشكل ضمني يحيل المتعلم لهذه القيمة، وهذا ما يسمح لنا بتحليل وتفكيك محتوى هذه المقررات، وقوفا على المجالات التي يراهن عليها البرنامج، في ترسيخ وتمرير قيم السلم لدى المتعلم، ترتبط هذه المجالات بالمواطنة، الحياة الديمقراطية، المواطن والقانون وكذا الحياة الجماعية في المؤسسة التعليمية، السلم والأمن وحقوق الإنسان وغيرها من المجالات، التي تتطرق إلى مسائل السلم

والأمن والتي تتوزع بدورها على وحدات تعليمية فرعية عديدة تقارب مواضيع مختلفة وعبر كامل المقررات.

وهذا ما يظهر من خلال الدرس المعنون كالتالي: أعرف حقوقي وأؤدي واجباتي، الذي يقف فيه المتعلم على أهمية النظام في حفظ سير المدرسة، وخاصة مبدأ الحقوق والواجبات الذي يتيح إمكانية بناء علاقة تفاعلية قائمة على أساس الحوار المتبادل والتدريب على تحمل المسؤولية والتعاون والتسامح مرورا بتوضيح أهمية السلوك الحسن في تجنب أشكال الإساءة المادية والمعنوية.

ويتجسد نفس الشيء مع مواضيع أخرى مجتمعة: كالمواطنة والهوية الوطنية والحقوق والواجبات والمسؤولية في المحيط والمواطن والقانون والحوار، أين يقف المتعلم وانطلاقا من هذا التنوع على قيمة السلم بشكل يركز أساسا، على فكرة القانون الذي ينظم الجوانب المختلفة للحياة الإجتماعية، والجزاء المترتب عن المخالفات المرتكبة خاصة تجاه الغير، والدعوة إلى التعامل بروح مسؤولة وتجنب أشكال التعسف في المعاملة والتعصب للرأي والعرق أو الجنس. كما يقف على ضمان الدولة عدم انتهاك حرمة الإنسان انطلاقا من فكرة القانون، لكونه المحدد الأساسي للعلاقة بين أفراد المجتمع والذي يضمن حقوق الغير، وعدم التعدي عليها لاسيما المساس بالكرامات. كما يوجه المتعلم في نفس السياق دائما إلى أهمية المسؤولية في المحيط بتوضيح الجوانب التي يكون فيها الفرد مسؤولا، تجاه ما يصدر عنه نحو غيره وذلك بتعميق جوانب الحوار، وتكريسها ودورها في تحقيق التوافق حول مختلف الجوانب، بشكل يضمن لكل طرف حرية إبداء رأيه دون تعصب أو عنف.

يقدم درس اليونيسيف هو الآخر تصورا عالميا عن قيمة السلم من خلال هذه المنظمة التي تعنى بشؤون الأطفال وتحسين أحوال معيشتهم، والدفاع عن حقوقهم خاصة من آثار الحروب والنزاعات المسلحة. مرورا بدرس الإعلان العالمي عن لحقوق الإنسان الذي يوضح

الحق في الحرية والمساواة والأمن والتي تصب كلها في السلم ونبذ العنف بكل أشكاله، ووصولا إلى درس الأمن والسلم باعتباره درسا مباشرا يرسخ ويثمن قيمة السلم، من خلال تعريف المتعلم بأهمية هذه القيمة، ودورها في عملية البناء والتطوير. إذ يشمل هذا الموضوع توضيحا لمعنى الأمن، وتفريقا بين الأمن الداخلي والخارجي مرورا بالأمن الإقتصادي والاجتماعي وتوضيحا لمخاطر الحروب والتسابق نحو التسلح، وآثاره المدمرة وصولا إلى السلم العالمي، والمنظمات الدولية التي تشرف عليه، مع الإشارة إلى ظاهرة العنف بتوضيح نتائجه المدمرة على المجتمع.

من خلال هذا العرض التفكيكي الذي شمل المحتويات التعليمة المكونة لمقرر التربية المدنية للطور المتوسط بكل مستوياته، يمكن القول أن ترسيخ قيمة السلم والدعوة إلى الحوار، والتسامح ونبذ العنف والتعصب كان حاضرا عبر المستويات التعليمية الأربع، نظرا لارتباط هذه القيمة بأبعاد عالمية أطرت مضامينها، لذلك سيلاحظ المتتبع لما قدمناه في هذا العنصر من خلال تحليل الوحدات التعليمية، وقوفنا على الجانب المتصل بالوظائف الظاهرة لهذه المقررات، أو ما يعرف بالمنهج الرسمي دون الغوص في دلالاتها الإيديولوجية التي تحملها، بهدف الوقوف على مدى تضمنها لقيمة السلم.

2.1 على مستوى الأداء البيداغوجي:

يقدم لنا تناول قيمة السلم في مضمون المقررات التعليمية بشكله السابق تصورا مثاليا عن مدى تضمن هذه المقررات لقيمة السلم، والتركيز المنصب عليها انطلاقا من اعتبارها قيمة ذات بعد عالمي، لكن لا يمكننا الجزم بأي حال من الأحوال، على أهمية ترسيخ هذه القيمة انطلاقا من مضمون المقررات التعليمية وحدها، بل يتعدى الأمر ذلك إلى ضرورة الوقوف على أهمية الممارسات البيداغوجية، التي يجري في كنفها تمرير نسق القيم. سنشير هنا تحديدا إلى مجموعة من الجوانب التي تعد ذات أهمية هي الأخرى في هذا السياق وانطلاقا

من طرق تلقين هذه المعارف، يمكننا الإقرار أنه رغم الإصلاحات المتكررة والتي حاولت تغيير وجهة الاهتمام من المعلم إلى المتعلم بإشراكه في الفعل التعليمي وجعله مِحْوَرَ العملية التعليمية، إلا أن الواقع الفعلي للتفاعل المدرسي بالمدرسة الجزائرية اليوم، يكشف عن عدم فاعلية التوجهات الجديدة في إخراج المتعلم من الدائرة السلبية، إذ بقي مجرد مستقبل وحافظ للمعلومات في أحسن الأحوال، بشكل يركز على عامل النقطة دون الاهتمام بالمعرفة في حد ذاتها، والقيم التي تعمل على ترسيخها، أين يصبح الهاجس الأول والأخير للمتعلم هو النقطة التي تؤهله للإلتحاق بالمستوى الأعلى **"ذلك أن عددا كبيرا من التلاميذ الذين يتعلمون، لا يستطيعون تحريك واستثمار معارفهم في سياقات جديدة، إنهم يتوفرون على رساميل نائمة لا يستطيعون الإستفادة منها، واستثمارها من جديد". (محمد شرقي: 2010. 36)**

من بين الجوانب التي تساهم في ترسيخ القيم بشكل عام مسألة التطبيق على الجوانب المدروسة هي الأخرى، لكن ما يحدث في المدرسة الجزائرية اليوم، هو تجاهل هذا الجانب في تدعيم المكتسبات المعرفية والقيمية، لدى المتعلم في ظل كثافة البرامج مقارنة مع الحجم الساعي الذي لا يتجاوز ساعة من الزمن لكل حصة، أين تصبح المدرسة حقلا لتفريغ المعارف في ذهن المتعلم.

يضاف إلي ما سبق، الطرق الموجهة للتعامل مع جوانب الخلل التي تحصل أثناء سير الحصص الدراسية، وفيما يتعلق بكيفية التصرف تجاه بعض الممارسات الفوضوية التي تصدر عن المتعلم داخل القسم، بشكل يُخِلُّ بالفعل التعليمي، والتي تُعَالَجُ في غالب الأحيان بطرق عنيفة من الأستاذ ونحو المتعلم، كتجريحه ونعته بأقبح الصفات ويتعدى الأمر هنا من العنف اللفظي إلى العنف الجسدي، ما يولد بدوره **"عنفا مضادا"** من المتعلم نحو الأستاذ كموقف دفاعي، (cécil carra: 2009. 144) في ظل القوانين التي تحد من تدخل الأستاذ لمعالجة مثل هذه السلوكات دون إدراج لبديل ضبطي من شأنه الحد

من هذه الظواهر. كل هذا يحمل في دلالاته بعض الممارسات الفعلية التي تجري في كنفها العملية التعليمية، والتي قد تؤثر بدورها في ترسيخ قيمة السلم وتثمينها لدى المتعلم. إلا أن الهدف العام للمدرسة يبقى متصلا من خلال الجوانب التي يراهن عليها ضمن التوجهات المسطرة مسبقا، على تثمين المعارف المدرسية بنسق قيمي يمرر إلى المتعلمين من شأنه المساهمة في تكوينهم.

2. **المحتوى التلفزيوني وتثمين قيمة السلم:**

للوقوف على مدى تضمن المحتوى التلفزيوني وترسيخه لقيمة السلم، يجب الرجوع إلى محتوى هذه البرامج والجوانب التي تبث، بهدف معرفة درجة حضور قيمة السلم فيها. إذا كانت المدرسة في وظيفتها خاضعة لجوانب رسمية دقيقة، فيما يتعلق بوضع المقررات التعليمية والقوانين التي تؤطرها، فأن الخطاب الإعلامي المتلفز مؤطر هو الآخر بمنطق السوق والمنافسة المفتوحة، وهو رغم ذلك خاضع لوصاية جهات معينة، يوفر بدائل عديدة في مقدورها جذب انتباه المتلقي. لكن الانتشار المعتبر للفضائيات في الآونة الأخيرة، ذات المضامين الإعلامية المتعددة والمتخصصة: إخبارية ورياضية ودينية وغنائية وسياسية ووثائقية... أصبحت تستهدف جمهورا واسعا من المتتبعين، ومن فئات عمرية مختلفة واستطاعت –في اعتقادنا- تلبية رغبات المشاهدين انطلاقا من هذا التخصص والتعدد، تاركة لهم حرية اختيار ما يهمهم على عكس المدرسة، التي تقدم من جهتها جوانب غير قابلة للاختيار.

من هنا وبالرجوع إلى محتوى الحصص والبرامج التي تقدمها الفضائيات، يمكن القول أنه ومن خلال معاينة هذه البرامج، نقف على ذلك التنوع بين المنتجات الجزائرية العربية والأجنبية، وبشكل مركز على استيراد المنتجات الأجنبية التي تسجل حضورا قويا، من خلال الأفلام والمسلسلات المدبلجة والحصص الوثائقية والصحية والغنائية وغيرها من المنتجات التي تعرض على القنوات الجزائرية

والعربية على حد السواء. إذ يمكن تقسيم البرامج المبثوثة على القنوات الجزائرية، على سبيل المثال (A3، الشروق tv، الجزائرية، النهار) بعد تتبع محتواها، إلى ثلاثة أصناف، وهذا التقسيم يصلح أيضا على القنوات الأخرى الغير متخصصة: القسم الأول يتعلق بالبرامج الهادفة التي تضم الحصص الإخبارية العلمية الفكرية والثقافية، كما تضم الحصص الدينية والصحية وحتى البرامج التي تعالج مواضيع اجتماعية. في القسم الثاني نجد الحصص والبرامج الفنية، كالأغاني والأفلام والمسلسلات، أما القسم الثالث فيضم المنوعات كالحصص المتعلقة بالمسابقات والرياضة إضافة إلى حصص الفكاهة والترفيه، التي تستهوي جمهورا عريضا من مختلف الأعمار كونها تقوم على طابع الترفيه والضحك، بأساليب هزلية تمس أحيانا جوانب حساسة، كل هذا بالاعتماد على الصوت والصورة وعلى حساب الجوانب الأخلاقية والدينية والثوابت المتعلقة بالمجتمع الجزائري في بعض الأحيان.

1.2 على مستوى البرامج الهادفة:

تعد البرامج المصنفة ضمن الإطار الهادف من بين البرامج التي من شأنها تثمين القيم وترسيخها لدى المتلقي، خاصة قيمة السلم باعتبارها قيمة أساسية تتصل بفكرة المواطنة. كما أشرنا سابقا، فإن البرامج الهادفة تضم حصص الأخبار، والحصص الدينية والبرامج الإجتماعية والتوعوية، وربما قد تعكس الجانب الإيجابي الذي يطلع به التلفزيون، من خلال دوره في تثمين الجوانب المهمة ظاهريا. لا يمكننا بأي حال من الأحوال تحليل جميع الحصص والبرامج التي تعرض في مختلف القنوات التلفزيونية الجزائرية، للوقوف على قيمة السلم فيها (A3، الشروق tv، الجزائرية، النهار) وحتى تتيح لنا الملاحظة المنظمة لهذه القنوات إمكانية رصد القيم التي يظهر أن محتوى الخطاب التلفزيوني يسعى إلى تمريرها، والذي تعبر عنه الرسالة الإعلامية. سننطلق من الحصص الإخبارية التي صنفناها

ضمن الحصص الهادفة، فرغم أنها إخبارية تهدف إلى عرض الأحداث اليومية، إلا أننا نؤكد تثمينها لقيم السلم وبشكل غير مباشر انطلاقا من المحطات التي تقترحها على المتلقي، فيما يتصل بالمعاهدات الدولية المبرمة في سياق السلم والتعاون والحوار وتغطيتها للأحداث المتعلقة بالمنظمات الدولية، التي تدعوا إلى السلام العالمي والنشاطات التي تقوم بها مرورا بالحروب وآثارها المدمرة والثورات التي تعصف ببعض الدول، وصولا إلى مسألة الإرهاب ودوره في زعزعة الاستقرار. كل هذه الجوانب تقدم وبشكل ضمني وتعزز فكرة السلم والأمن انطلاقا من تجارب مختلف الدول ونتائج الصراعات.

تساهم الحصص الدينية هي الأخرى باعتبارها برامج هادفة في تعزيز قيمة السلم وفق ما يتماشى مع مبادئ الإسلام، سواء الخطب أو حصص الفتاوى، وغيرها من الحصص التي تتطرق إلى مواضيع ذات صبغة دينية، وتروج لفكر المصالحة والسلم والأمن باعتبارهما شروطا للإبداع والعمل، وحرمة التعدي على الغير، كما تتناول جوانب تتصل بالتسامح والتعاون والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد، وصولا إلى تغليب لغة الحوار والتعقل، ونبذ التعصب والعنف في كل أشكال المعاملات، كل هذا مُدَعّمٌ بجملة من النصوص المتعلقة بالقرآن والأحاديث النبوية التي توظف لتعزيز الجوانب المطروقة.

البرامج الإجتماعية والتوعوية لا تختلف عن غيرها من البرامج الهادفة في تعزيز قيم السلم انطلاقا من المواضيع العديدة التي تعالجها والمناقشات التي تثيرها. سنورد في هذا السياق مثالين يمكن أن يوضحا ذلك. المثال الأول: يتصل بأحداث الشغب والعنف التي حصلت في منطقة غرداية بالجزائر، أين أصبح محتوى البرامج الإجتماعية موجها إلى الدعوة لتغليب لغة التعقل والحوار والسلم، نظرا للمنعطف الخطير الذي وصلت إليه الأمور والتي كادت أن تتحول إلى حرب أهلية. المثال الثاني يتعلق بالعنف في الملاعب، أين يتم توجيه المتلقي إلى الجوانب السلبية لهذه الظاهرة وآثارها على المجتمع الجزائري، كل

هذه الجوانب تقدم صورة واضحة لدور التلفزيون، وإمكانية توظيفه لأسلوب تغليب قيم السلم والأمن، من خلال استخدامه –ظاهريا- كوسيلة للتوعية في خضم الأحداث التي تتواتر، رغم أن هذه البرامج الهادفة تجري وفق تنازلات من طرف المساهمين فيها.

2.2 على مستوى البرامج الترفيهية والفنية:

يبدوا أن تثمين قيمة السلم مع البرامج الترفيهية والمنوعات، يتخذ منحى آخر غير الذي يرتبط بالبرامج الهادفة، والتي وقفنا عليها انطلاقا من الملاحظة المنظمة، التي شملت القنوات التلفزيونية المشار إليها سابقا والتي تكشف بدورها عن دلالات لا تمت بأية صلة إلى قيمة السلم والجوانب المرتبطة بها، انطلاقا من مظاهر العنف التي تعرض بصفة متكررة والموظفة في محتوى هذه الحصص، لاسيما الترفيهية منها ذات الطابع الساخر والتي تتعدى جانب الترفيه والفرجة، إلى التأثير في الجوانب الحساسة والثوابت المتصلة بالمجتمع الجزائري، نفس الشيء نرصده مع الحصص المتعلقة بالبرامج الفنية وتحديدا الأفلام والمسلسلات بشكل أكثر، التي تكرس لجوانب سلبية عديدة من بينها دراما الجريمة. خاصة وأن أغلبها مستورد تمت دبلجته وعرضه دون الإهتمام بالجوانب القيمية، أو الثوابت الحساسة المتصلة بالمجتمع الجزائري. نظرا لطابع التنافس المحتدم والتحول الذي ميز القنوات التلفزيونية نحو سياسة **"ملء ساعات البث دون أن تترك في نفس المشاهد أي أثر... ومن ثم تندفع كل الأطراف إلى نوع من المنافسة، على استيراد البرامج الأجنبية"** لتغطية ساعات البث. **(عبد الملك الدنانى: 2006. 153)**

لذلك سنركز تحليلنا هنا على حصة ترفيهية تحمل عنوان **"المنشار"**، التي تبث على إحدى القنوات الجزائرية (الشروق TV)، بحيث قمنا بتحليل عشر حلقات مسجلة من هذه الحصة، بشكل متتابع للوقوف على مدى ترسيخها لقيمة السلم والتي تبث بداية من الساعة الثامنة مساء، ولمدة تدوم في الغالب لأكثر من **15** دقيقة.

اختيارنا لهذه الحصة لا يقوم على اعتبارات ذاتية، وإنما نتج عن المقابلات التكميلية التي أجريناها، مع بعض المتعلمين بالطور المتوسط والتي أثبتت متابعتهم لها.

تسمح لنا المشاهدة المتكررة للحصة، بالوقوف على جملة من الملاحظات التي تتعدى فعل التسلية، إلى جوانب أخرى نسعى إلى توضيحها هنا. إذ ومنذ بداية الحصة وفي تركيبها العام مع عنوانها وكذا جنريك البداية، يبدوا واضحا تناقضها مع الجوانب المتعارف عليها، بالدعوة إلى العنف اللفظي "**المنشار**" والتكلم في أعراض الغير. يُقَدّمُ محتوى الحصة هو الآخر في شكل عناوين عديدة، تمس ظواهر مختلفة بهدف إحداث بدائل يتم الانتقال بينها وهي: شيخ المنشار، روبورتاج، العاصفة، نحبسلك راسك، كليب المنشار، الغربال، المنشار نيوز... وغيرها من العناوين التي تستحدث حسب الحاجة وتتطرق إلى ظواهر من واقع المواطن، كالمخدرات والإضراب والعيد والثورة والزواج... وبتوظيف مقتطفات من الأفلام والأغاني التي يتم تعديلها حسب الموضوع وبإشراك المواطن نفسه في تصوير المشاهد رغم أنها موجهة إليه، كما نقف على استخدام مصطلحات وعبارات تحيل بدورها إلى ترويج العنف والدعوة إليه (مَنْشَرْ، قَطَّعْ، نردك مهبول، ليما يبغيناش يسكيفي، لا أستطيع، نحبسلك راسك...) وغيرها من الألفاظ التي تتكرر يوميا في الحصة، وبتقليد شخصيات عديدة بأسلوب هزلي قصد توفير مساحة واسعة من البدائل الجاذبة التي تجعل من المتابع لا يمل من المشاهدة.

يتيح لنا تفكيك الحصة وفق الشكل السابق الوقوف على مظاهر تروج للعنف أكثر مما ترسخ وتدعم قيمة السلم، عبر المشاهد التي ترتبط بتمرير لقطات عنف عديدة، وفي حصص متتالية، إذ لا تخلوا أية حصة تقريبا من مشهد العنف بنوعيه وهذا بهدف إضفاء التسلية والإثارة لجذب الإنتباه، الأول جسدي ويشمل مشاهد الضرب واللكم واللطم والركل والعراك، باستخدام وسائل متنوعة في ذلك كالعصي

والخناجر والأسلحة النارية... وغيرها من الوسائل. في المستوى الثاني نقف على عنف لفظي، يروج له من خلال استخدام اللغة الدارجة، التي لا تحتاج إلى مستوى دراسي لفهمها مثل: (دمي حامي، قلبي كحل، تخرب فيا نهبلك...) وغيرها من الألفاظ التي ترسخ لثقافة العنف والاختلاف، وعلى حساب القيم المتعارف عليها. **"انطلاقا من منطق لعبة اللغة ذاتها"** والقائمة على قواعد ضمنية يظهر شكليا أنها تقوم على الحوار الديمقراطي وحرية التعبير **(بيار بورديو: 2004. 77)** وصولا إلى العنف الرمزي، الذي يسعى وبهدف تحقيق الرواج إلى الاستهزاء بالأفراد المواطنين من خلال إشراكهم فيه دون وعي منهم، أو حتى بالنسبة للمشاهد باعتباره جزءا من هذا الواقع والذي يمسه بطريقة غير مباشرة.

يتعدى الأمر هنا جانب الحديث عن الظواهر إلى الترويج لها بدل الحد منها حيث نشير في هذا السياق كمثال على ذلك إلى التفصيل المتعلق بكيفية استهلاك المخدرات، بأنواعها وكيفيه الحصول عليها وغيرها من الجوانب التي يتكرر الحديث عنها، دون اعتبار للسن أو لحساسية الموضوع المتطرق إليه. ولعل ما يميز عرض هذه الجوانب والتي تجعلها متابعة بشكل مركز، هو استخدام اللغة الدارجة الموظفة إضافة إلى استخدام لغة الجسد، والتي تخلق نوعا من التسلية التي تدفع إلى متابعة هذه الحركات، باستخدام المؤثرات المرئية والصوتية بشكل يراهن على إضحاك المتلقي، وما يزيد من مصداقية التأثير هو التواصل مع الشارع بمختلف الشرائح، في تصوير المشاهد وهذا ما يجعل الأمر أكثر جذبا خاصة عندما يتم التركيز على المناطق التي تكثر فيها مظاهر الحرمان.

من هنا وانطلاقا من هذا التحليل الذي طال حصة **"المنشار"** باعتبارها حصة ترفيهية، يمكن القول أن ما يعرض تحت مسمى الترفيه والفكاهة ظاهريا، يرسخ ضمنيا لقيم مغايرة مع ما هو متعارف عليه، خاصة فيما يتعلق بترسيخ قيمة السلم بترويج العنف

بدله، بشكل يرتبط بتحقيق مصالح خاصة دون اعتبار للثوابت المتصلة بالمجتمع نفسه. إن تركيزنا هنا على مقاربة هاتين المؤسستين في عملية التأثير في سلوكات الفاعلين ضمن إطار عملية التنشئة الإجتماعية، لا يقصي بالضرورة تأثير باقي المؤسسات التنشئوية الأخرى والمتصلة بالأسرة وجماعة الرفاق والمجتمع، وحتى للمؤسسات الدينية كونها لا تقل أهمية عن المدرسة والتلفزيون، في عملية التأثير والتي لا يمكن تجاهل دورها.

3. نقل القيم بين بيداغوجيا المدرسة وآليات التلفزيون:

قبل التطرق إلى بيداغوجيا المدرسة وآليات التلفزيون، ودور كل منهما في نقل وترسيخ القيم لدى الفاعلين، نشير ومنذ البداية إلى أن المسألة المتصلة بفعل التأثير في السلوكات –من خلال المحتوى الخاص بكل منهما- لا يتعلق بطبيعة القيم في حد ذاتها وتعددها، بل يتصل بشكل وثيق بطريقة كل منهما في تمرير خطابيهما، انطلاقا من الأهداف والرهانات التي تؤطر محتوى كل منهما، وتشرعن نوع البيداغوجيا الموظفة. من هنا يمكن التمييز بين أسلوبين متمايزين في نقل المحتوى المتعلق بكل مؤسسة.

1.3 بيداغوجيا المدرسة:

تستخدم المدرسة في تمرير محتواها وترسيخ القيم مجموعة من الوسائل التي تخصها دون غيرها من المؤسسات الأخرى، وانطلاقا من الأهداف التي تراهن عليها (فعل التربية، التعليم والتكوين) تتصل بطرائق التدريس الحديثة على اختلافها، خاصة تلك التي تركز على المتعلم وتعتبره محور العملية التعليمية، وتشركه فيها من خلال توجيهه نحو البحث والتحليل والمناقشة والتساؤل، والإجابة عن الأسئلة التي يطرحها زملاؤه والحوار... الأمر الذي يدفع المتعلم إلى بذل جهد في التعلم، حسب الطريقة التعليمية ومقاربتها للمعارف المدرسية، العامل المشترك بين هذه الطرائق التعليمية، هو تركيزها على ضرورة إكساب المتعلم للمعارف المقدمة في مختلف الوضعيات التعليمية، سواء

عن طريق التلقين أو الفهم وضرورة المراجعة، لحفظ المعارف من الزوال عن ذهن المتعلم.

لا تتوقف بيداغوجيا المدرسة عند هذا الحد، بل تتعدى وسائلها الموظفة إلى ضرورة تقويم المكتسبات (القبلية، الآنية، والبعدية) لدى المتعلم من خلال إجراء الامتحانات، بهدف معرفة درجة اكتساب هذه المعارف باعتبار أن الامتحان محك مرجعي، يتيح إمكانية تحديد درجة اكتساب المعارف المقدمة، وبالتالي معرفة أحقية الانتقال إلى المستوى الأعلى من عدمه، بالتركيز على عامل النقطة بشكل يرتبط **"دائما بأهداف مرحلية خاصة بمدة التكوين والتعليم" (عبد الحق منصف: 2007. 116)** كل هذا يضاف إليه، عدم إمكانية اختيار المعارف التي يريد المتعلم دراستها، بتوفير نموذج تعليمي واحد يجب اكتساب المعارف الواردة فيه، إذ تشكل من هذا المنطلق المعارف القبلية التي يكتسبها التلميذ من خلال عمليات التعلم المتعددة شرطا أساسيا لمواصلة التعلم، لا يمكن فهم الجوانب الجديدة دونها خاصة في المستويات العليا، كل هذا مؤطرا بضرورة الاجتهاد والمثابرة والمشاركة، وتحضير الدروس والبحوث والانضباط، واحترام القوانين الداخلية للمؤسسة وغيرها من الجوانب، التي يجد المتعلم نفسه مجبرا على التقيد بها.

2.3 آليات التلفزيون:

يقوم التلفزيون على خلاف المدرسة وفيما يتعلق بآلياته في نقل محتواه القيمي، وترسيخه لدى المشاهد (المتعلم) على عنصري اللعب والتسلية في عرض محتواه موفرا بذلك مجموعة من البدائل والخيارات، إذ وبعكس محتوى المقررات التعليمية، يقدم التلفزيون محتوى متنوعا في مجالات عديدة، متيحا للمتتبع حرية انتقاء ما يشد انتباهه ويتوافق وميوله بتوفير بدائل عديدة في ظل تعدد القنوات، هذا المحتوى لا يستوجب الانتباه والمراجعة لمتابعته، أو امتلاك معارف مسبقة كما لا يتوفر على خاصية الامتحان، أين يوفر جوا من التسلية

والفكاهة والترفيه، إلى جانب عوامل أخرى فيما يعرض من برامج تتصل بهذا البعد وتجذب المتلقي.

كما لا تقوم الرسالة التلفزيونية على جوانب رسمية، أو أوقات محددة، حيث تتاح خاصية المشاهدة الحرة في أي وقت ودون قيود، أو دون الحاجة إلى الانتقال إلى أماكن محددة من أجل متابعة البرامج والحصص التي تعرض، أين يجد المتلقي نفسه حرا في التفاعل مع ما يقدم له دون قيود. يضاف إلى ذلك اعتماد المحتوى التلفزيوني في عرض برامجه، على عاملي الصورة واللغة الدارجة التي يتواصل بها الفاعلون، في حياتهم اليومية على غرار المدرسة التي تفرض نوعا آخر من الوسائل، لمقاربة المعارف المدرسية التي ترتكز على المقررات التعليمية المجسدة لمحتوى الكتب المدرسية القائمة على لغة مضبوطة خاضعة لمعايير علمية لا تحمل الخطأ. من هنا تصبح الصورة الملونة والمتحركة، إضافة إلى اللغة السهلة والقابلة للتعديل فيها، وسيلة مهمة تجذب المشاهد كونها تتصل بواقعه اليومي، بشكل يجعله سريع التفاعل معها "**حيث أثبتت الدراسات النفسية أن لإنسان يحصل على 98٪ من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر**" **(منى كشيك: 2003. 09)**. هذا ما نقف عليه وبسرعة من خلال تحليل الحصة التلفزيونية التي تطرقنا إليها سابقا على سبيل المثال لا الحصر (حصة المنشار)، بتوظيف جوانب مضحكة وكلمات متداولة تحمل دلالات عديدة، إضافة إلى توظيف مشاهد درامية كالعنف والجريمة، لتصبح غير قابلة للمقاومة من قبل المتلقي الذي اعتاد هو الآخر عليها باعتبارها التجارة الرائجة، فالفكرة التي يتم على أساسها اختيار المحتوى التلفزيوني هي البحث عما هو مثير عن ذلك الذي يجذب ويدفع للمشاهدة.

يصبح اختيار المحتوى هنا عاملا مهما في نجاح التلفاز في تمرير ما يسعى إليه إذ في حين تقدم المدرسة محتوى هادفا ومتصلا مع ما يجب أن يكون في غالب الأحيان، يقدم التلفاز في المقابل محتوى متصلا مع

ما هو موجود، ومن واقع الحياة اليومية للفاعلين أنفسهم، بإضافة أساليب تهكمية ساخرة وفي بعض الأحيان ثائرة على هذا الواقع، إذ تجعل المشاهد يتابع ذلك بشغف رغم أن ما يعرض عليه غير ذي معنى، كتصوير طريق متهرئ والوقوف عنده مطولا، فرغم أنه جُزْءٌ من يوميات المواطن الذي لا يستدعي المتابعة، إلا أن المؤثرات المضافة (مقاطع غنائية، تعليقات، تمثيل أدوار المسؤولين...) تجعل المشاهد يتابع ما يعرض عليه، رغم أنه لا يقدم معرفة جديدة بشكل يستهلك وقتا ثمينا، لقول أشياء تافهة، وقتا يمكن استخدامه لقول شيء آخر مفيد **"هذه الأشياء التافهة جدا هي في الواقع هامة جدا بالقدر الذي تخفي فيه أشياء ثمينة بالفعل". (بيار بورديو: 2004. 47)**

من هنا وانطلاقا من بيداغوجية المدرسة، وآليات التلفزيون في عرض وترسيخ مختلف القيم، وبشكل خاص قيمة السلم، يمكن القول أن التلفزيون ينجح في الأخير وانطلاقا من البيداغوجيا التي يوظفها، والتي عملنا على تحديد أبعادها في كسر ما تقدمه المدرسة، والتأثير بذلك في سلوكات المتعلمين أكثر من المدرسة نفسها، رغم أن خطابه المقدم جُزْءٌ من واقع الفاعلين أنفسهم، ولا يحمل أي جديد بخلاف المدرسة التي تقدم معارف جديدة. يتعلق الأمر إذن بكيفية مقاربة المواضيع وطرق عرضها، إذ نجد أن المدرسة لا زالت محافظة على جوانب رسمية ضابطة في تمرير رسالتها، في حين استطاع التلفزيون من خلال توفير بدائل متعددة، أن يؤثر في سلوكات المتعلمين ويجذبهم نحوه.

4. من رهان التربية إلى التلاعب بالعقول:

تكشف الفقرات السابقة التي تناولت جوانب تتصل بكل من المدرسة والتلفزيون عن درجة تأثير خطابيهما على المتلقي (المتعلم) انطلاقا من طبيعة الوسائل التي توظفها كل مؤسسة، أين ينجح التلفزيون في كسر ما تقدمه المدرسة نظرا لمرونة الوسائل التي يوظفها، والتي تعمل بدورها كمؤثرات ذات فاعلية في توجيه

سلوكات الفاعلين والتأثير فيها. فعامل التسلية والترفيه ونوع اللغة التي يقدم بها الخطاب التلفزيوني مع توفير إمكانية الإختيار بين البدائل العديدة والجوانب المتعلقة بالإثارة والتشويق، كلها تساهم في جذب انتباه المتلقي للمشاهدة، خاصة وأنها لا تحتاج منه إلا الجلوس والمتابعة، دون بذل أي مجهود بشكل يخاطب وجدانه وعاطفته أكثر من مخاطبة عقله. من هنا تظهر فاعلية التلفزيون وعن طريق المحتوى الذي يقدمه، في التأثير على المتلقي انطلاقا من السلوكات التي يمكن رصدها واقعيا والمتصلة بتقليد المتلقي (المتعلم) لبعض ما يشاهده سواء في طريقة اللباس، الحديث وطرق التعامل والتفاعل مع الغير... ووصولا إلى التأثير في المعتقدات، إلى درجة تكوين ثقافة تلفزيونية من نوع خاص، لدى المتلقي بغض النظر عن مدى صحتها.

يضاف إلى هذه الوسائل المرتبطة بالتلفزيون، والتي أشرنا إليها جوانب أخرى لا تقل أهمية عنها، أشار إليها بيار بورديو في معرض حديثه عن آليات التلاعب بالعقول، التي يطلع بها التلفزيون والمتصلة بمنطق السوق والمنافسة، وتحديدا في بعدها الإقتصادي والريادي بين العاملين في التلفزيون، سواء داخل القناة الواحدة أو بين القنوات المختلفة، من أجل كسب حصة من السوق الذي يخضع له المجال الصحفي ويؤطره، إذ أن هذا المنطق يجعل الإهتمام بالأبعاد الإجتماعية والقيمية تعد ثانوية يمكن تجاهلها في ظل غياب الرقابة.

عقلية الأوديمات هي الأخرى جَانِبٌ لا يقل أهمية، بشكل يتصل بمنطق المنافسة التي تسيطر عليه أو ما يعرف تحديدا بنسبة الإقبال، التي توفر معرفة دقيقة للجوانب التي تلقى إقبالا من تلك التي لا تلقى نفس الإهتمام، لدى المتلقي بشكل يمت بصلة إلى اعتبارات النجاح التجاري، من هنا تصبح سياسة الأوديمات أحكاما نهائية لتقييم المنتج المعروض انطلاقا من حجم المشاهدة، ودون غيرها من الجوانب التي تسمح بتقييم المنتج، أين يصبح هذا المنطق الربحي هو الذي يفرض نفسه على الإنتاج التلفزيوني، وهذا ما يضع الإنتاج نفسه موضع

تساؤل لارتباطه بمنطق ربحي يلغي باقي الإعتبارات خاصة القيمية منها، بهدف كسب حصة من السوق. **(بيار بورديو: 2004. 63).** هذا ما يفسر بدوره ويؤكد المستوى الثانوي الذي توجد فيه الجوانب القيمية والتربوية انطلاقا من البرامج التي أصبحت ترتكز على عامل السوق والربح وليس على المسائل القيمية.

خاتمة:

إن الحديث عن هذا الموضوع والتناقض الذي نقف عليه، بين المدرسة والمجال التلفزيوني، والذي يعبر عنه المحتوى المتصل بهما، يحيلنا إلى الأهداف المتعلقة بكل منهما والجوانب الموظفة لخدمة الهدف. إذا كانت المدرسة تتخذ من التربية والتعليم والتكوين هدفا لها، فإن المجال التلفزيوني ترتبط أهدافه بمنطق المنافسة الدائمة، لكسب حصة من السوق باعتباره مجالا مكونا من العديد من القنوات التلفزيونية، الوطنية، العربية والأجنبية في وجود التسابق لكسب متتبعين أكثر، بما يجعل الاهتمام منصبا على تقديم الجوانب التي تلقى إقبالا من طرف المتلقي. هنا تصبح الآلية التي يوظفها التلفزيون في نقل محتواه رهانا يمكن ومن خلاله، توفير مادة قابلة للمتابعة، من خلال مخاطبة العواطف والغرائز في غياب ما يشبه الرقابة على المحتوى المتلفز.

قائمة المراجع:

1. بيار بورديو (**2004**): التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي، ط**1**، دمشق، دار كنعان للنشر والتوزيع.
2. الجريدة الرسمية (**2008**)، القانون التوجيهي المتعلق بالتربية والتعليم، الجزائر.
3. عبد الحق منصف(**2007**) ، رهانات البيداغوجيا المعاصرة، المغرب، إفريقيا الشرق.
4. عبد الملك الدنانى (**2006**): البث الفضائي العربي وتحديات العولمة،الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
5. الكتب المدرسية المتعلقة بمقرر التربية المدنية للطور المتوسط بمراحله الأربع (**2010**)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر.
6. محمد شرقي (**2010**): مقاربات بيداغوجية، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق.
7. منى كشيك (**2003**): القيم الغائبة في الإعلام، القاهرة، دار فرحة للنشر.
8. Cécil carra (2009): violences à l'école élémentaire, l'expérience des élèves et des enseignants, presse universitaires de France, Paris.